

كلمة رئيس الإتحاد الفلسفي العربي في مناسبة افتتاح المؤتمر الفلسفي الدولي الذي نظم في جامعة الجزائر تحت عنوان "الفلسفة والتحديات الحضارية المعاصرة"

الفلسفة العالقة بين حدي الدين والأيدولوجي

د. وليد الخوري

رئيس الإتحاد الفلسفي العربي

من لبنان الرسالة، من الأرض التي تتناسل فيها الشهادة، انتصارا للقيم الإنسانية الجامعة، من رحم المخاض العسير الذي تعيشه منطقتنا، أنزل في رحابكم، حاملا التقدير الكبير لتاريخكم النضالي العظيم، ولتجربكم الوطنية الرائدة.

اسمحو لي بداية أن أعرب، باسم الإتحاد الفلسفي العربي، عن شكري لدعوتكم، وعن تقديري لانهمامكم بالفلسفة وقلقكم على مصيرها، انطلاقا من وعيكم للقيم التي تختزنها، ودرائتكم بما يعنيه حضوره الفاعل في تفكير الإنسان، وفي ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه ويطمح إلى تجديده وتطويره. أيها الأصدقاء

إن المراجعة المتمهلة لعنوان هذا المؤتمر وللمحاور التي تدرج تحته، تشي باستواء الفلسفة أصلا لا تستقيم بدونها مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة في تجلياتها الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والعلمية والاقتصادية المختلفة، والرهان على الفلسفة في معركة الوجود الحي هذه، هو في الحقيقة اعتراف بالقيم التي تستنبطها، وتنبؤا من خلالها، مكانتها في الأذهان كما في الأعيان باعتبار أن وجود هذه القيم في علم الناس هو شرط لوجودها في عملهم.

لا شك أن الفلسفة، في قيامها وازدهارها، تتلازم مع جملة من القيم، يتقدمها، العقل والحرية والحوار والديمقراطية، أصول تنويرية حديثة، ما إن عبرت إلى ديارنا واستوطنت مضاربنا حتى شحت أضواؤها وتشوهت مضامينها، وأنت ثقافة العصبانية والغلبة على معالمها وعلى ثرائها الثقافي والمعرفي والإنساني.

الإتحاد الفلسفي العربي مؤسسة تضم نخبة من المشتغلين بالفلسفة في أكثر الجامعات المنتشرة في المشرق العربي ومغرب، انصرفوا في مهامهم التعليمية والبحثية إلى تنشيط الثقافة الفلسفية ومواصلة المعركة من أجل إعادة الاعتبار إلى العقل الفلسفي بما هو ملكة قادرة على إبداع المفاهيم ونقدها، بعد أن انحسر دوره في الفكر العربي والإسلامي السائد منذ "واقعة تهافت الفلاسفة"، حتى بات متواضع الحضور، ضعيف الأثر، نشأتا إليه في أوقات المحن، نستذكره، نستجد به كلما اشتدت علينا وطأة التعصب واستعر الإحساس بالغلبة عند الذين ناصبوا الفلسفة وقيمها وشروط وجودها العدا، وتوجسوا منها شرا أفتوا به على أهلها تبديعا وتكفيرا.

إن تغيب العقل الفلسفي هو تغيب للحوار باعتباره المنهج الملازم له منذ بزوغ فجر الفلسفة إلى يومنا هذا، والحوار وليد ثقافة يعترف فيها كل طرف من الأطراف المتحاوره بأنه لا يمتلك الحقيقة كلها، بل هي خلاصة يشترك الجميع في استقراء حظ كل طرف منها، تمهيدا لصوغها تعبيرا عن إرادات متفاعلة متكاملة. عبر الحوار تنكشف علامات التواصل والتأنس بين معقولات العقل المختلفة، بين الثقافات المتنوعة والآراء المتباينة، ويمتنع انزلاق الاختلاف إلى خلاف يذهب أطرافه إلى حد القطيعة المسكونة، إن لم يكن بالعنف المباشر، فيما يوازيه ظلما وظلامية.

عادة نزوله بين ظهرانينا، استحال الحوار، بعد أن لفحته نار الحمية والاعتصاب المتأججة في بواطننا، نوعا من السجال الذي يتغيا كل طرف فيه إفحام الآخر سعيا لإقصائه وشطبه من معادلة الشراكة والإسهام في مشروع بناء الحقيقة، سجال محكوم بفكر وثوقي، يصادر حامله الحقيقة، يسكنها أنه ويسورها بثمرات فكره الذي لا شريك له ولا مرد لعصمته، دون أن يقيم أي اعتبار للوجه الآخر من الحقيقة الذي

قد يوجد عند غيره، الفلسفة فكر حوارى، لا تلغى الآخر، بل تسعى إلى استكشاف دواخله وسبر أغواره تنقيباً عن فسحة محايدة يتلاقى عندها المختلفان، على وئام، في ظل هوية العقل الجامعة.

إذا كان تغييب العقل الفلسفى هو تغييب للحوار وللحقيقة المنبثقة عن إرادة المتحاورين، فهو فى الوقت نفسه إجهاز على الديمقراطية وإخراج لها من كونها نظاماً سياسياً، صاغه هذا العقل تحت قبة الحرية، يضمن تداول السلطة من خلال مؤسسات تشريعية وتنفيذية ينتخبها الشعب ويحاسب على أدائها عبر صندوق الاقتراع، إلى أن تصبح مجرد، جسر عبور إلى السلطة، يتوسل به أعداؤها، مستفيدين من الحرية التي تلازمها، من أجل نيل مأربهم وبلوغ غايتهم. أما وقد وصلوا فيوصدون الأبواب وراءهم، ويسدون المسالك إليها بالقمع والتسلط والاستبداد، متنكرين للقيم التي تحملها وللمؤسسات التي أنتجتها.

وعليه، يكفي أن نقرأ ما يجري على امتداد الساحات العربية والإسلامية، بوعي وتبصر، ونشاهد العنف المستفحل متجلياً في أعمال القتل والتهجير والتدمير الذي يطول المدنيين في أكثر من مكان في هذا العالم، لكي نتيقن من واقعية من ذهينا إليه، ولكي نطرح على أنفسنا جملة من الأسئلة تتناول ماهية وجود القيم الفلسفية في فكرنا وحقيقة سريانها في تفكيرنا ومدى أصالتها في وعينا وثقافتنا.

- هل عرف الفكر العربى والإسلامى السائد هذه القيم بمعناها الإنسانى والحضارى؟

- هل أدرك أنها شرط لكل تفكير خلاق، ومعبر لكل شراكة حضارية حقيقية فاعلة؟

- هل استطاع أن يهضم أبعادها ومضامينها ويعقل سمو أثرها فى علم الناس وعملهم؟

أسئلة تفرض نفسها على أصحاب العقول النيرة، عندما يستوي أمامها الاستبداد الفكرى والمادى بديلاً عن العقلانية الهادئة وعن الحرية الواعية وسبل تحققها عبر الديمقراطية والحوار وحق الاختلاف. أسئلة، قد تقع فى باب المسكوت عنه، تقع فى قاع الوجدان، أسيرة العوائق المعرفية المتمثلة باليات التفكير العالقة بين حدى: الدين والأيدىولوجيا.

أيها الأصدقاء،

لعل فى أهداف هذا المؤتمر، المتصلة ببعث النشاط الفلسفى، وتعريف الوسط الطلابى الجامعى بالفلسفة وقدرتها على مواجهة التحديات و دفع الصراعات المفضية إلى الاقتتال والفساد، ما يشير إلى حاجتنا الملحة إلى الفلسفة، ويلفت إلى عمق الأزمة التي تعاني منها فى أوطاننا، ويحض فى الوقت نفسه على تكثيف الجهود من أجل بناء ثقافة فلسفية متصالحة مع المجتمع، تعده لاحتضان الخيارات العلمية والعملية المؤهلة لشراكة حضارية متكافئة.

أيها الأصدقاء،

إن المشتغلين بالفلسفة على امتداد الساحة العربية، يتقاسمون هم نهوض الفلسفة وانبعاث أنوارها فى فضائنا الفكرى والثقافى، ويتقدمون معا طليعة المسيرة إلى فجر حضارى جديد، تنتفض معه أمتنا على الظلم الذى يضربها وعلى الظلامية التي تستبد بها، فتستعيد مجدها الحضارى ومكانتها المرموقة بين أمم العالم وحضاراته.

أختم شاكرًا الجهة المنظمة لهذا المؤتمر ومتمنياً للفلاسفة المشاركين بأبحاثهم ودراساتهم، كل النجاح والتوفيق.

والسلام معكم

دائماً

